لقد تمت عمليات انتقال الهنود عن بلادهم واستيطانهم في منطقة الخليج بهدوء وسلام، كما لم تجد من شعوب المنطقة المقاومة أو النفور.

ولقد انبعث تحرك هذه الأقوام من الرغبة في البحث عن مواطن معيشية مضمونة وآمنة، وموارد تمنحهم ضمانا دائما وكسبا متزايدا. ومع تحركهم حملوا معهم عاداتهم وتقاليدهم وأساليبهم التجارية، واستقروا بها في المواطن الجديدة. وحيث انقسمت الأقوام الهندية بين الهندوس والخوجة فقد اختارت كل مجموعة منها حيا خاصا تقطن به، وتميزت تلك الأحياء بظروف المنطقة التي فضلت العيش بها، وان كانت أغلبية الهنود قد كونت لها مجموعات سكنية قرب الساحل. وذلك لأسباب عديدة، منها أن سلطة الحكام ودرجة الأمان كانا يتوفران أكثر قرب الموانى، ومنها أن النفوذ البريطاني كان يتركز على المناطق الساحلية، بالاضافة الى ذلك فإن عمل الهنود في ميدان التجارة جعل وجودهم قرب الموانى ضروريا لأعمال تجارة الصادرات والواردات. ثم لا ننسى أن الجزء الساحلي يتميز بالانفتاح على المؤثرات

الخارجية، كما أن سكان الساحل أكثر تسامحا تجاه الأجانب من سكان الداخل المنعزلين[١].

وقد اختلفت ظروف عمان عن مشيخات الساحل والبحرين، ففي عمان حيث كانت الصراعات السياسية، والاغارات مستمرة سواء في الداخل أو الخارج، فقد عاش الهندوس في مدينة مسقط المحاطة بسور دفاعي به ثلاث بوابات تمتد من نتوء جبلي الى آخر به برج دفاعي فوق قمة جبل، وهذا الخط الدفاعي الأخير محاط بالعديد من الأبراج الدفاعية. وينتهي بالواجهة الساحلية حيث توجد قلعتا الجلالي وميراني[٢].

وكون الهنود لهم أحياء سكنية فيها على هيئة تجمعات أطلق عليه «محلة البانيان»[٣]. وتقع على الواجهة الساحلية بالقرب من القنصلية البريطانية، كما كان الحي الهندي متاخما لقصر السلطان مباشرة، ولذا تمتعوا بالحماية البريطانية، وحماية السلطان.

ومحلة البانيان ليست مقتصرة على منازل الهنود فقط، بل كانت تشمل السوق الهندي أيضا، والذي تميز من الناحية البنائية بالأسقف المنخفضة التي تميل الى الظلمة، وبالأزقة الضيقة[٤].

وظل البانيان في مسقط يحتفظون بدرجة عالية في تضامن أفراد الجالية مع بعضها بالرغم من المنافسة الاقتصادية[٥].

أما الخوجة فقد اختاروا مدينة مطرح التي تحتمي بسور منيع له بوابتان وأربعة أقبية دفاعية أمامية، وكونوا لهم في منتصف المدينة منطقة مسورة تسمى بسور اللواتية، وهو عبارة عن جدار طويل شاهق الارتفاع، ويطلق عليه أيضا حصن اللواتيا[٦]، وقلعة اللواتيا[٧].

وبالسور بوابتان يحرسها أبناؤها مناوبة، كما كان بالقلعة أبراج حراسة لحمايتهم

من اعتداء اللصوص، ولا يحق لأي انسان من غير سكانه أن يجتاز بوابته الرهيبة، وكان يشمل في عام ١٨٣٤ أكثر من ٣٠٠ مبنى متعددة الطوابق، يقع كل منهم متاخما للآخر يعيش بها حوالي ٦٠٠٠ عائلة مسلمة[٨].

وكانت نساء الخوجة يحيون حياة تعتمد بالأساس على الجلوس، مما تسبب لهن في أمراض كثيرة. كما تنتشر بينهم أمراض السل، ويعود ذلك الى سوء التهوية في المنازل، نتيجة لازدحامها الشديد، والحاجة الشديدة للاشتراطات الصحية[٩]. والناظر الى أعلى كلما تحرك بين أزقة تلك المنازل الضيقة كان يؤدي تعانق طوابقها. ولتلك المنازل المزدحمة فن معماري رائع أبيض اللون جمع بين طراز العمارة الهندية والاسلامية[١٠].

ولقد اختار الخوجة مدينة مسورة، مثلهم مثل الهندوس فقد كانت المخاوف تملأ نفوسهم بالرغم من وحدة الدين بينهم وبين العمانيين.

أما في دبي فقد عاش البانيان في مبنى تمتد مساحته على طول ساحل البحر في السوق القديم، والذي سمى «سوق البانيان»، وقد سكنوا فيه بإذن من الحاكم، والمبنى عبارة عن طابقين تتجمع الغرف في الطابق العلوي للأغراض السكنية، بينما استخدم الطابق الأرضي كمحلات تجارية[١١]. وكانت الغرف على نمط واحد، وهي تشابه نمط المنازل في بومباي، وقد بلغت مساحة الغرفة ١٨ قدما يعيش بها عدة أشخاص ذكور.

ولهذا المبنى سور به بوابتان يحرسها شخصان قويان مسلحان، وتقفل البوابتان من الساعة السادسة ولا يسمح بدخول أحد إلا بإذن مسبق[١٢].

أما البانيان والخوجة في الشارقة فقد عاشوا جميعهم في حي واحد وهو «فريج المريجة» قرب ميناء الشارقة. وتقع مساكن الخوجة قرب أسواقهم واختلف وضعهم في الشارقة حيث عاشت الأسر في منازل منفصلة متقاربة[١٣]. ويبدو أن درجة الأمان والهدوء هنا كانت أكبر، كذا البانيان أيضا، وكعادتهم، فقد ظل سكنهم فوق

حوانيتهم إلا أن مبنى السكن والسوق لم يكونا مسورين.

وعلى الرغم أن هاتين الفئتين من الخوجة والهندوس قد عاشتا في منطقة واحدة بل كانت الفئة الواحدة في سور واحد، إلا أن هناك درجة من التفاوت بين الأغنياء والفقراء في أسلوب الحياة، بل أحيانا داخل الأسرة الواحدة. كما أن عمق التغير يختلف بين المدن والقرى، كما في عمان حيث استطاعت مجموعة من التجار الهنود أن تجد لها مكانا في موطن الشحوح، وهي منطقة محظورة على الأجانب، حيث كان الرجل البدائي يقسم البشر الى قسمين مسلمين ومشركين[١٤]. إلا أنه عرف عن الهنود قدرة تكيفهم بالبيئة التي يعيشون فيها.

وخلال تحول المجتمع الخليجي من الاقتصاد التقليدي الى الاقتصاد الحديث اختلف سكنى الفئة العمالية الجديدة من الهنود والتي استوعبت السلوك الغربي، فقد وفرت لها شركات البترول مساكن على النمط الحديث مضاءة بالأنوار الكهربائية، كما توفر هذا النوع من السكن للفئة الهندية التي خدمت في الهيئات الادارية الحكومية.

وقد كون جميع الهنود بمختلف أديانهم مجموعات سكنية مقفلة بالنسبة للعرب، سواء من عاشوا في الأسوار بعمان أو عاشوا في مشيخات الساحل حيث توفر الأمن وحتى العمالة الجديدة في عصر البترول كانت لها نواديها الخاصة ومجتمعها المغلق في البحرين.

ولم يظهر الارتباط أو الاتصال بين الهنود وأهل الخليج إلا في مجال النشاط الاقتصادي[١٥].

وقد كانت سكني الهنود الخوجة أو البانيان في مجتمعات مغلقة من الأمور الجائزة في ظل النظام القديم، غير أنه بعد التطورات الاقتصادية والادارية الكبيرة التي عرفها الخليج، خصوصا بعد ظهور البترول، لم يعد بالامكان استمرار هذا الوضع.

وكان أهم الأسباب التي أدت الى استحالة استمرار الوضع المذكور أن الدولة الجديدة أرادت أن تمد سلطاتها وخدماتها داخل تلك المجتمعات المغلقة. وتقدم قضية العلاقة بين البلدية في مسقط ومطرح وبين المجتمعات الهندية في تلك المناطق مثلا على هذا فقد دعا سعيد بن طارق بين تيمور رئيس المجلس البلدي يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٤٦ الوكيل السياسي لبحث شؤون مطرح بعد أن تم تنظيف مسقط، وطلب عون الوكيل فيما إذا واجهت جهوده عقبات من جانب الرعايا البريطانيين. وأفصح عن تخوفه من الصعوبات التي كان يتوقعها من جانب الخوجة، وأخيرا أن هذه المنطقة لم يدخلها قط مفتشو الصحة. وأنها في حالة سيئة جدا من الناحية الصحية. وأتفق معه أن تقوم الاجراءات بالتدريج للمنطقة المغلقة، واقترح الوكيل أن يكون التعاون بين شيوخ الخوجة ومفتشي الصحة[١٦].

والدليل على الحالة الصحية السيئة بمطرح ما ذكره تقرير المجلس البلدي بمسقط خلال عام ١٩٤٥ حيث بلغ عدد المصابين بالملاريا ٧٤٣ في مسقط، بينما بلغت الأعداد في مطرح ١٣٦٩[١٧] وإذا كانت مجتمعات الخوجة قد عاشت في عزلة تامة، فقد كان هناك أكثر من عامل له تأثير على عدم الذوبان أو حتى الاختلاط في المجتمعات الخليجية.

فعلى الرغم من وحدة الدين بين السنة والشيعة إلا أن الفوارق المذهبية قد أقامت حاجزا بين المجتمعين، فالشيعة يقيمون صلاتهم في أماكن وأوقات مختلفة ويبدأون صيامهم وأفطارهم في أوقات مختلفة، حتى نوع الأطعمة يختلف حيث لا يأكل الشيعة السمك عديم القشور بينما يتناوله السنة[١٨]. وأختلف الوضع بالنسبة للبحرين حيث يشكل الشيعة الغالبية العددية.

فحسب احصاء عام ١٩٤١ بلغ تعداد الشيعة ٤٦,٣٥٩ في حين بلغ عدد السنة ٤١,٩٨٤، ولذا تمثل الاندماج بين الخوجة والشيعة في البحرين في السكنى في قواهم، بل وفي الذوبان في المجتمع الشيعي[١٩].

أما الهندوس الذين اعتادوا الاقامة الطويلة في منطقة الخليج لم ترافقهم عائلاتهم، خوفا عليهم من قسوة المناخ واحتكاكهم ببيئة غريبة عنهم، ولذا استمروا في القيام بزيارة أسرهم المقيمة في الهند كلما واتت الفرصة، فصلة البانيان بموطنهم الأصلي ظلت دائمة، إذ كانوا يقومون بزيارات طويلة الى عائلاتهم كما أنهم فضلوا أن يتعلم الأبناء أصول العبادة والتجارة في مسقط رأس أسلافهم لأن كليهما متوارث. أيضا لم تنقطع الصلة بالمواطن الأصلي حيث كانت رؤوس الأموال كلها تستثمر في الهند.

وتشير التقارير البريطانية في ١٥ أغسطس ١٩٤٧ الى احتفال تجار مسقط ومطرح بيوم استقلال الهند، حيث أقيم احتفال كبير، وقد أقيمت الصلوات في الصباح كما قدموا الألعاب النارية في المساء في مطرح.

وقد أقام المستر جماداس كمجي من وكالة كمجي رامداس حفلا في المساء بمناسبة هذا اليوم في نادي القنصلية حضرها السيد شهاب ممثل السلطان والوكيل السياسي وكبار موظفي حكومة مسقط[٢٠].

أما الخوجة والذين رافقتهم أسرهم في الاستيطان الجديد فارتباطهم بموطنهم يعود لأسباب اقتصادية ودينية، وقد أشرنا الى الأسباب الاقتصادية، أما الدينية فتتمثل فيما جرى عام ١٩٤٦ بمناسبة الاحتفال باليوبيل الماسي لزعيم الطائفة الاسماعيلية، وهي الطائفة التي تكون جماعة الخوجة قسما منها[٢١]، فتشير التقارير البريطانية لهذا العام أن جمعية الأغا خان في جوادر فشلت في الحصول على تسهيلات سفر الشيعة من خلال التنظيمات الموجودة في بومباي، لحضور احتفالات اليوبيل الماسي للأغا خان، وقد تقدمت بطلب للوكيل السياسي في ١٨ أبريل للحصول على ٤٠٠ تذكرة الى الهند في بواخر شركة الهند الشرقية.

وكان رد المسؤولين في حكومة الهند على هذا الطلب أن السفينة Barjora والسفينة Barala ممتلئتان على آخرهما بحجاج الشيعة العائدين من البصرة، ولم

يستطع وكلاء شركة الهند البريطانية تقديم أي عون. إلا أنهم أصروا على الذهاب رغم الصعوبة التي واجهوها فقد وصلوا كراتشي عن طريق الداوات ثم عادوا في أبريل[٢٢]. وكانت هذه الجماعة الاسماعيلية المقيمة في مطرح وغيرها من مناطق الخليج تحتفل كل عام بعيد ميلاد الأغا خان[٢٣].

الحياة الاجتماعية للخوجة:

وجماعة الخوجة كانت في الأصل هندوسية واعتنقت الاسماعيلية على أيدي دعاة أرسلهم اسلام شاه وسموا بالخوجة، واسلام شاه أول من عرف بالأغا خان، وقد برز في القرن التاسع عشر، كان زعيما لمدينة كرمان وصهر الملك الفارسي فتح علي شاه، كما كان اماما للاسماعيليين وانتقلت اليه بالوراثة. وفي عام ١٨٣٨ اشترك في نزاع مع الامبراطور محمد شاه استمر حتى عام ١٨٤٠ إلا أن كثرة العدد غلبته فهرب عبر صحاري بلوخستان الى بلاد السند وأدى للبريطانيين مساعدة قيمة في توسعهم العسكري شمالا وغربا من البنجاب. ثم وصل الى بومباي عام ١٨٤٥، واستقبله جميع سكان الخوجة، إلا أنه قضى سنتين في سجن كلكتا (١٨٤٦-١٨٤٨) بناء على احتجاج الامبراطور محمد شاه، إلا أنه بإنتهاء عهده في العام المذكور أقام الأغا خان بسلام في بومباي وأنشأ درخانته أو مقره العام. ولذا شرعت الوفود الاسماعيلية تأتي من بلدان قصية الى بومباي[٢٤].

وكان الأغا خان يحافظ على الاتصال المنتظم بينه وبين الخوجة وذلك عن طريق ممثلين له في الخليج وأحيانا يزورهم كل عامين حتى تتاح لهم فرصة اظهار ولائهم له[٢٥].

وقد اتبع الاسماعيليون أنمطة ثقافية مختلفة، فهم يتحدثون لغة الموقع الذي يعيشون فيه. يتحدثون الأوردية أو الهندستانية في غرب باكستان، والبنغالية في شرق باكستان، أما الكوتشية أو الكوجاراتية فقد كانت اللغة المستخدمة داخل

المجتمع الهندي في الخليج، وأن تعلمت الغالبية اللغة العربية لأسباب تتعلق بطبيعة أعمالهم إلا أن الحسابات ظلت تكتب بالكوجراتية[٢٦].

وما يذهل في الخوجة هو مواظبتهم على الصلاة في أوقاتها، ويصلى الخوجة ثلاث مرات يوميا، وتؤدي جميع صلواتهم بين شروق الشمس وغروبها[٢٧]. ومن مظاهر تدينهم أن التجار صباح كل جمعة يضعون مبلغا من العملة الصغيرة للروبية الهندية، لتوزيعها على الفقراء في ذلك اليوم[٢٨].

وكانت لجالية الخوجة شيخ منتخب ومجلس لكبار السن يتولى الحكم في الشؤون الخاصة بالجالية، وكانت العبادة في مطرح تمارس في معبد «جماعات خانة» الموجود داخل جدران السور. إلا أن الزكاة الالزامية الخاصة بحقوق الأغا خان والتي أثارت منازعات بالهند عام ١٩٤٠ قد تأثرت بها الجالية في مطرح وقالت أنها من حق الجالية، وقد أيد هذه القضية جميع الأسر ما عدا عشرون منها، وحين حكمت المحاكم لمصلحة الزعيم الديني طردت الأسر العشرون الذين كانوا في صف الأغا خان من السور، وتحولت الخوجة في مطرح الى شيعة اثنا عشرية وهي الجماعة المنافسة للاسماعيلية[٢٩]. وتحول «جمعة خانة» الى مسجد شيعي وطلبت الجالية حضور قاضي من النجف في العراق للوفاء بالمتطلبات القانونية، أما الأسر العشرون فقد أنشأت لها معبد «جماعات خانة» جديدا خارج السور الى الشمال الغربي من سور منطقتهم القديمة[٣٠]. وكانت حكومة مسقط قد سمحت لهم بممارسة الشعائر الدينية بحرية كاملة بل كانت الأماكن الدينية لها حرمتها وهيبتها، ففي عام ١٩٣٠ انتهك جامع الخوجة الواقع في حي الاثنا عشرية، وعلى الرغم من عدم ثبوت ارتكاب هذا العمل منهم إلا أن دولة مسقط فرضت غرامة قدرها ٥٠٠ روبية على الاثنا عشرية[٣١]. وأشهر مسجد للشيعة بالشارقة يقع في «حي المريجة» كما يوجد مسجد للشيعة في بر ديرة ودبي. وكان قاضي الشيعة يجمع بين عدة وظائف، فهو محاضر في الشريعة الاسلامية، وقاض شرعي

يفصل في كل القضايا المدنية ويسجل الوصايا وغيرها من الوثائق، وكان فقهاء رجال الدين يقومون بمهمة التعليم تطوعا ومن أشهرهم في الشارقة غلام ابراهيم آل عيسى[٣٢].

الاحتفالات الدينية:

وللخوجة احتفالاتهم المذهبية وهي احتفالات جماعة الشيعة. وتتخذ طابع الحزن وتتميز بالحماس المذهبي، وكانت الحكومات في مشيخات الساحل تمنع اقامة تلك الطقوس المذهبية خارج المآتم وأو بيوت المناحة، وكان الشيعة يحاولون اقامتها بسرية قدر الامكان تجنبا لحدوث أية حساسيات، حيث نظر لهم العرب كمشكركين خاصة بالشارقة حيث يمثل العرب الأصليون أكبر نسبة، كما أنهم ينتمون للمذهب الحنبلي.

وأختلف الوضع بالنسبة للبحرين حيث ينقسم سكانها مناصفة لسنة وشيعة، حيث سمحت حكومة البحرين للشيعة بالمسيرات الجماهيرية. وكانت البحرين تشهد في أواخر شهر ذي الحجة وأوائل المحرم هجرات موسمية تأتيها بصفة خاصة من الشيعة من جميع مناطق الخليج. وتعطى الحكومة أجازة رسمية يوم ١٠، ١١ من محرم المصادفين ليومي ٩، ١٠ وفقا للتقويم الشيعي حيث يتأخر التقويم الشيعي عن التقويم السائد في البلاد الاسلامية يوما واحدا[٣٣].

والمآتم أو الحسينيات تشبه الى حد كبير المساجد وتستخدم للاجتماعات الدينية الى جانب استعمالها للمسافرين وللشؤون الجنائزية، ويسمح في تلك المآتم للناس بالأكل والتدخين. ويحيى هذه الاحتفالات الدينية وعاظ مسلمون محليون، أما في الأعياد الهامة مثل الأيام العشرة الأولى من المحرم فتحرص المآتم الميسورة الحال على استدعائهم من العراق وايران. ومن أشهر المآتم في البحرين : مأتم الحطب وبن رجب والعريف والمديفع والميناوية والعجم[٣٤].

وبالشارقة تبرعت الأسر الحيدربادية لاقامة أول مأتم للشيعة، ومنح أحد الأشخاص من تلك الجالية ويدعى عبد الله المسعود أرضا لاقامة ذلك المأتم، وفي دبي كان يوجد مأتم عدواني[٣٥].

كما كانت طائفة الشيعة تحتفل بذكرى سنوية تبرز فيها سيرة الامام علي في ١٩، ٢٠، ٢١ من رمضان، ويرتدي فيها النساء والرجال الملابس السوداء.

وكان الشيعة يقومون بزيارة الاضرحة المتعلقة بالامام والأئمة وموقعة كربلاء. ويتزودون بأقراص من التراب المقدس يضعونها تحت رؤوسهم عند السجود في الصلاة. ويرغب كل شيعي في أن يدفن بعد وفاته في أرض مقدسة ليحظى بحماية الامام يوم الحساب، وأهم المقابر متواجدة في العراق، وأكبرها مقبرة وادي السلام بالنجف، وقد تطور دفن الموتى من الشيعة في النجف على مدى الأجيال الى شبه حج الى المدينة المقدسة[٣٦].

وقد كانت جماعة الخوجة تشارك في كل هذه الاحتفالات داخل المآتم المنتشرة في مناطق تجمعهم، كما كانوا يحجون الى النجف مع سائر الشيعة في نفس المناسبة.

نظام الزواج وطريقة الاحتفال به:

يخضع الزواج للشريعة الاسلامية في مجمل أحكامه طبقا للمذهب الشائع. وعلى الرغم من وحدة المذهب بين الشيعة من العرب والفرس والهنود فإن الرجل اللوتي كان يستطيع أن يتزوج بحرية من تلك الأجناس إلا أن نساء اللواتيا لا يتزوجن رلا من رجال جاليتهن[٣٧]. وبحكم انغلاق مجتمع الخوجة كانت تنتشر بينهم عادة زواج الأقارب.

وكانت تتم الخطبة بين الأسرتين بذهاب أهل العريس الى الفتاة. فإن تمت

الموافقة يقدم أهل الزوج لكل من له صلة قرابة، طبق به سكر نبات وحب هان وأحيانا نقود ويسمى «مورو». وبعد عقد القران كانت توزع على الأصدقاء والأقارب. وفي بعض الجماعات الاسلامية الهندية يتقرر قدر المهر تبعا للتقاليد ويختلف من مجتمع لآخر، وفي بعض الأحيان من مجموعة لمجموعة داخل نفس المجتمع[٣٨].

وكان المهر محددا في بعض الوقت بالنسبة للخوجة بمبلغ (٥٠١) روبية ويضيفون رقم واحد لتشائمهم من الصفر. وكانت تتم مواسم الزواج في «بيت الخير» وقد تبرع بهذا البيت في الشارقة عبد العزيز بن صويلح أحد الأثرياء في ذلك الوقت.

وتتم مراسم الزواج بأن يخرج الزوج من بيت الخير ووراءه جمع من الرجال يقرأون القصائد الدينية، وتسمى «جلوات» حتى يصلوا بيت العروس.

وكان شرطا أساسيا في الزواج أن يقدم أهل العروس للعريس «هدية الزواج» وهي عبارة عن مخدة سرير خضراء ومسندة جلوس خضراء ومرتبة مزركشة بخيوط ذهبية، وجلباب من الحرير.

ومن عادات الزواج «ليلة الحناء» للرجل، التي كان يقوم باعداد الحناء له أهل العروس بوضعه في صينية، وفي صينية أخرى توضع «هدية الزواج» ويحملها رجال. ويتحرك المركب من منزل العروس بين قرع الطبول والدفوق سيرا على الأقدام حتى يصلوا بيت الزوج، وهناك كان يقوم رجل متخصص بوضع الحناء على يد العريس[٣٩]. وتسمى ليلة الزفاق «وايت رمبوه» ترتدي فيها العروس ملابس خضراء من الحرير، وتضع على رأسها طرحة من الحرير أطرافها مزينة بشريط، أما أحمر أو أخضر، يسمى «كور»[٤٠]. وقد ظلت جماعة الخوجة تحتفظ بطراز الملابس الهندية[٤١].

ومن عادات المرأة اللوتية أنها تستطيع التدخين بجانب زوجها بخلاف المرأة العربية.

وإذا ما انتقلنا الى مقتنيات المنزل نجد من بينها بعض الأسرة الصغيرة التي تشبه سرير الطفل على حجم أكبر. معلق من أعلى بحلقتين يجلس فيه الرجال والنساء على السواء للتسلية، وقد يتناول الشخص فوقه كوبا من الشاي أو يدخن سجائره.

ومن عادات الخوجة أنهم لا يتناولون منطعام البهرة وينظرون لهم كمشركين[٤٢]. وقد أقامت الجاليات الهندية نواد خاصة بهم، وتمثلت في المجالس الليلية لتبادل أطراف الحديث وتجاذبه، ولقضاء الوقت حيث لم تكن وسائل الترفيه الأخرى معروفة في البلاد. كما كان لها هدف اقتصادي لمناقشة شؤونهم التجارية، ولها غرض ثقافي حيث كانوا يبحثون في شؤون الدين والشعر، ويتناقشون في المعلومات ويتبادلون الآراء. إلا أنه في بداية الثلاثينات من القرن الحالي ظهرت النوادي التي تميزت بالأسلوب الغربي مثل نادي جمخانة لشركة بترول البحرين، والنادي الأدبي الرياضي لجالية الخوجة في مطرح، والذي أسسه عبد الرحمن الباكر عام ١٩٣٤ – حيث أشرف على انتخابات أول مجلس اداري للنادي وزودهم بأمهات الكتب القديمة والحديث(*)[٤٣]. ونادي مقبول في مسقط الذي افتتح عام ١٩٤٤ وسمي باسم مقبول حسين الذي بذل جهودا كبيرة لاقامته[٤٤].

الحياة الاجتماعية للبانيان :

زاول البانيان شعائرهم وطقوسهم الدينية في منطقة الخليج بحرية تامة، وعلى الرغم من أن المسلمين في الخليج كانوا ينظرون لهم كمشركين إلا أن احتفالاتهم الدينية كانت تتم دونما تحرش من قبل المسلمين. ولا يستقى المذهب الهندوسي من كتاب معين وإنما تتكون الديانة الهندوسية من عادات وتقاليد موروثة[٤٥]، وهي ليست موحدة إذ تفرعت عن الديانة الهندوسية مذاهب كثيرة وإن كان هذا التفرع ليس واضحا أمام سكان الخليج، فهم ينظرون للبانيان النظرة الى طائفة واحدة.

وللبقرة من بين الحيوانات قدسية خاصة فقد حظيت بأسمى مكانة لديهم، وهم يتركونها ترقد في الشوارع العامرة بالحركة التجارية[٤٦].

ويعبد هؤلاء القوم بجوان ذا الأيدي الأربعة، ويؤمنون بانتقال الأرواح بعد الموت الى أجسام أخرى من الأحياء بشرا كانت أو من الحيوان الأعجم، ولذلك يحرمون على أنفسهم أكل اللحوم مخافة أن يكون قد حل فيها روح أحد من أسلافهم. وبسبب هذا الاعتقاد فإن الحياة عندهم مقدسة، وان ذبح حيوان لغذاء الجسد إنما هو خطيئة. وينظر المسلمون في الخليج للهندوس باعتبارهم عنصرا أدنى بسبب عقيدتهم التي يغلب عليها طابع الشرك. مما أدى الى أن يمارس هؤلاء طقوسهم دون تدخل[٤٧].

وكانت طقوس العبادة اليومية تؤدى في المنازل وفي المعابد في المناسبات. ففي المنزل ايوان به رفوف، وفي هذا الايوان تماثيل لتجسيدات الاله أو صورته، أو صندوق صغير من الزجاج يوضع فيه الاله، ويشعل أمامه نقطج من الزيت، ويحرم دخول المتعبد أو غيره بالحذاء في ذلك الايوان احتراما للوثن[٤٨]. وقد سمحت السلطات الحكومية في الخليج للهنود ببناء معابدهم، وحيث كثرت أعداد البانيان تعددت المعابد. ففي البحرين منذ أكثر من مائة عام بنى معبد بلاك كرشنا Balak Krishna قرب السوق في البحرين[٤٩]. أما في عمان والتي تكاثرت فيها أعداد البانيان بطول مدة الاقامة فقد تواجد فيها أكثر من معبد.

ويرجع بناء أول معبد للهندوس في عمان الى أكثر من ثلاثمائة عام مضت أي في القرن السابع عشر فقد تم نقل تمثال للمعبد للاله Govindaraj الى مسقط من البصرة التي كانت الجالية الهندية تعاني فيها المصاعب.

وتحت حكم أحمد بن سعيد (١٧٤٤-١٧٨٣) أسس البانيان معبدهم الثاني في مسقط وهو معبد خاص بطائفة Haveli. كما أقامت طوائف أخرى أماكن للصلاة بها حتى أصبح في مسقط أربعة معابد للهندوس[٥٠].

كما كان يوجد لهم معبد على أطراف المدينة عند مصب الوادي الكبير حيث يستحمون ويغسلون ملابسهم البيضاء[٥١].

وتشير التقارير الخاصة ببلدية مسقط بأعمال البناء التي تم تنفيذها خلال عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٥ قرب معبد للبانيان عند الجبل تحت العقبة[٥٢].

وبالاضافة لمعبد قلهات كانت توجد بعض المزارات خاصة في مرباط، وهو مزار الراجا الهندي «السامري»[٥٣].

وفي الشارقة كان هناك معبد للبانيان من حوالي مائة عام[٥٤]. في الحي السكني للبانيان بمنطقة المريجة، غير أنه تم نقله الى دبي في الثلاثينات من القرن الحالي، لأن الأشخاص الذين يقومون بالخدمة فيه كانوا يعيشون في دبي. وأقيم هذا المعبد وهو لسري كرشنا Sri Krishna في شارع صغير وضيق قرب القلعة القديمة لحاكم دبي، كما أنه بالقرب من سوق البانيان[٥٥].(*)

وكما سمح للبانيان باقامة المعابد كذلك سمح لهم باقامة بقية الطقوس، ومنها أنهم كانوا يعمدون الى احراق موتاهم، وفي البحرين كانت تتم عملية احراق الموتى في منطقة أبي غزال في حين كانت في الماضي البعيد بالمحرق والتي اشتق اسمها من عملية الحرق[٥٦]. أما في الشارقة فكانت قرب برج «بودانة»[٥٧].

وقبل عملية الحرق تمارس طقوس غريبة لهؤلاء القوم، فيغسل الميت ويعطر بالصندل والعود وذلك لعدم تواجد الزهور في منطقة الخليج، ثم يوضع على صدره قطعة من الحلوى مكورة وكذلك في كلتا يديه، وكانت توضع في فمه وريقة ريحان مع قطعة فضية من العملات الصغيرة المتداولة ويزين صدره بعقد من أعواد الريحان، وكان الهندوس يصرون على جلب شجيرة الريحان عند قدومهم للخليج حيث يقومون بزراعتها في أصيص في منازلهم. ويصب في فمه ماء يسمى «كناكر» وهو ماء يحضر من نهر الكنج في اناء صغير من الفخار، ويلحم الاناء في حينه ثم تلف بقطعة من الخيش وتخيط، ثم تربط بقطعة قماش حمراء مقدسة بها خيط

ذهبي من معبد Shrinthagi ويهتم كل قادم الى الخليج من البانيان أن يرافقه ذلك الماء في رحلته ويظل مع السنين في منزله حتى الموت.

وتتم مراسم الوفاة في الشارقة بأن يكفن الميت بقطعة من القماش الأبيض ان كان رجلا، أما إذا كان المتوفي امرأة وزوجها على قيد الحياة فتلف بكفن أحمر، ويوضع لها نقطة حمراء بين حاجبيها وعلى مفرق شعرها، وان كان زوجها ميتا فتكفن بالأبيض ولا يستخدم اللون الأحمر بتاتا، وفي حالة الفتاة غير المتزوجة يكون كفنها أخضر.

توضع الجثة على محامل خشبية وعلى كل ركن من أركانه «نارجيلة»، يحمل الميت وقبل خروج النعش من المنزل تكسر أول «نارجيلة»(*) عند الباب، ثم يتوجه بالميت المحمول الى حظيرة البقر وهى في منطقة منعزلة قريبة من معبد البانيان وتكسر ثاني نارجيلة، ثم تحمل الجثة الى برج «بودانه» قرب البحر حيث كانت توجد محرقة البانيان وتكسر ثالث نارجيلة، أما الرابعة والأخيرة فكانت تحرق مع الجثة، وبعد الحرق يحذف الرماد في البحر، أما العظام المتفحمة فتحفظ بها أسرة الميت حيث تحمل الى وادي الكنج، ويقدس البانيان هذا الوادي لاعتقادهم أن الاله «بكوان» قد خرج منه[٥٨].

ومع أن الغالبية العظمى من الهنود كانوا من البانيان غير أنه وجدت أعداد قليلة منهم ممن اعتنقوا المسيحية. نستدل على ذلك مما عبر عنه الوكيل السياسي البريطاني في البحرين في ٢٠ أكتوبر عام ١٩٤١ من الرغبة ببناء كنيسة انجيلية فيها وكان مما ساقه للموافقة على هذه الرغبة وجود أعداد من المسيحيين الانجيليين للطائفة الانجليكانية، أو كما قال «الطائفة الانجيلية في البحرين ليست كبيرة ولكنها سوف تنمو في الأعوام القادمة، وهي تضم الآن الموظفين البريطانيين ورجال الأعمال والعاملين في شركة البترول والامريكيين والهنود[٥٩].

ومن مظاهر ممارسة البانيان للهندوسية اهتمامهم الكبير بالأعياد الدينية التي

كانوا يحتفلون بها مثل عيد رأس السنة «ديفالي» وفي دبي كانت الجالية تغلق المتاجر في ذلك اليوم، وتتجمع منذ الصباح، تتبادل الهدايا وتتناول الحلويات وفي المساء يعين مجموعة من الهنود مكان الآحتفال، وكان يحضره حاكم دبي وبعض العرب من أصدقاء الهنود. ويضاء مكان الاحتفال والدور بلمبات معبأة بالزيت النباتي وفتايل من القطن المبروم ومصابيح الكيروسين، وتحول الألعاب النارية الجميلة الليل الى نهار، كما كانت تحضر المفرقعات النارية من الهند خاصة لهذا الاحتفال[٦٠].

وفي منطقة الخليج عامة كانت منطقة احتفالات عيد ديفالي تقام بنفس المظاهر، وفي مسقط كان البانيان قد اعتادوا تقديم خير طبق لديهم للسلطان، وكانوا يتلقون الدعوة الى القصر في مناسبات خاصة، بالرغم من أنهم يرفضون تناول الطعام الذي يعده طهاة الحاكم حيث ظلوا يتمسكون بالتقاليد الخاصة بغذائهم[٦١].

وفي هذا العيد يجمع البانيان دفاتر حساباتهم التي مضى عليها عام كامل، ويضعون عليها الفواكه ثم يخططونها باللون الزعفراني المقدس ويضعونها أمام الوثن استبشارا بوقوع الخير في العام التالي، وبذا كان ينقضي عام ويبدأ عام جديد.

ومن الأعياد الهامة لديهم عيد «الهولي» وهو عيد تغير الأجواء وكانوا يستخدمون مياة ملونة في رش الشوارع الخاصة بأحيائهم وعلى طول المنطقة المؤدية الى متاجرهم. ويتبادل الأشخاص رش العطور والألوان على ملابسهم ويمزحون بنفس الطريقة التي يقومون بها في الهند[٦٢].

تعليم الهنود :

اعتاد البانيان أن يتركوا أبناءهم لرعاية أمهاتهم في موطنهم الأصلي لأن من

عادة الأسرة الهندوسية حفظ الكتب المقدسة والشعائر الدينية، حتى إذا ما جاوز العاشرة كان باستطاعته الحضور الى والده ليرث حرفة أبيه.

وأولى المدارس التى قصدها الهنود فى منطقة الخليج تمثلت في مدارس الارساليات. وكان من أولى تلك الارساليات الارسالية الأمريكية في مسقط التي مارست نشاطها التعليمي منذ عام ١٨٩٦ عندما افتتح القس بيتر زويمر Peter Zwemer مدرسة للبنين سميت «بمدرسة الرقيق المحرر». وقد واجهت مشكلة تعدد اللغات حيث كانت تتوزع بين البلوشية والسواحلية والهندوستانية والفارسية والعربية. وقد أشار جيمس كانتين(*) الى مدى اهتمام التلاميذ وحماسهم للدراسة حيث قال «وبعض هؤلاء الأولاد وبخاصة الهنود كانوا يتمتعون بقدرة على تعلم اللغات لو ثابروا عليها»[٦٣].

ويبدأ تاريخ الارساليات البروتستانتية في الخليج عندما قام أحد المبشرين الهنود ويدعى هنري مارتن برحلة بحرية اليه في عام ١٨١١، وفي عام ١٨٦١ ظهرت أول ترجمة عربية للانجيل في الخليج وقد قام بها القس مارتن[٦٤]. بالاضافة لذلك بدأت الارساليات نشاطا في ميدان العلاج مما دعا بريطانيا الى تقديم خدمات طبية مشابهة لخدماتهم لأهالي البلاد عندما طلب سلطان عمان تزويد بلاده بالخدمات الطبية سنة ١٩٠٠، حيث قدمت بعثة طبية هندية لهذا الغرض ووضعتها الحكومة البريطانية تحت اشرافها[٦٥].

وفي البحرين كانت توجد عام ١٩٢٥ مدرسة صغيرة للبنات تديرها سيدة من الارسالية الأمريكية، وكان يزداد عدد الطالبات فيها باضطراد خاصة من اليهوديات والهنديات[٦٦].

وفي عام ١٩٢٦ بلغ متوسط عدد الطالبات المقيدات فيها لذلك العام اثنين وعشرين كما كان للارسالية مدرسة للبنين[٦٧]. وكانت أعداد مدرسة البنات تزداد بمضي الوقت حيث بلغ متوسط عدد الطالبات ٤٤ طالبة عام ١٩٢٨، أما مدرسة

البنين فتلامذتها من جميع الجنسيات، عرب وفرس وزنوج وبحرانيون وهنود ويهود، بالاضافة الى أن المدرسة كان بها روضة للأطفال[٦٨].

وجرت محاولة خلال الحرب الثانية لاقامة مدرسة هندية خالصة في البحرين، وبدأت هذه المحاولة من جانب السردار عبد الرحمن، وتابعها بعد ذلك ناريان سكرتير مستشار حكومة البحرين الذي تقدم في ٩ أبريل باقتراح للوكيل السياسي لفتح مدرسة للأطفال الهنود، وأوضح لهم أنه قادر على الاتصال بهم، كما تبين أن عدد الأطفال الذين يمكن التحاقهم بالمدرسة يبلغ ٥١ طفلا، هذا بالاضافة لبعض الأباء الذين لم يكن قد تم الاتصال بهم. واقترح أن تكون المدرسة في منزل واقع غرب نادي البحرين الرياضي.

وفي ١٣ أبريل بعث ناريان لبعض التجار والأطباء الهنود بمنشور يفيد قبولهم لمشروع اقامة المدرسة في البحرين واستعدادهم لدفع الرسوم[٦٩].

والمدرسة الوحيدة التي كانت تقبل الأطفال الهنود كان يديرها الكاثوليك في ذلك الوقت، ولذلك أبدى الأباء الهنود من غير الكاثوليك سرورهم لفتح مدرسة لا تسيطر عليها فئة بعينها.

وقد بعث الوكيل السياسي في البحرين الى المقيم السياسي في الخليج يفيده برغبة الأباء الهنود في اقامة المدرسة، واقترح أن تكون البداية مدرسة ابتدائية ولكن يجب الاصرار على أن يكون التعليم بالانجليزية نظرا للأوضاع التي كانت سائدة في البحرين، حيث كانت مؤسسات العمل خاصة شركة البترول تصر على أن يكون موظفوها على المام جيد بالانجليزية، كما أوضح للمقيم أن المدارس الابتدائية في الهند تستخدم اللغة الهندية كلغة تعليم ولا يبدأ التعليم بالانجليزية إلا بعد الوصول الى المرحلة الثانوية، وليس هناك سبب يمنع استخدام الانجليزية كلغة تعليم في البحرين[٧٠].

وقد أبدى جميع الأباء استعدادهم لمعاونة المشروع وبلغ أقل عدد للتلاميذ

خمسين طفلا لذلك العام على أن يقوم بتدريسهم مدرس ومدرسة تتحمل حكومة الهند نفقاتهم – من أجور سفر ومعاشاتهم. أما ايجار المبنى فتتحمل نفقاته الجالية الهندية وقد تأسست المدرسة المختلطة في ذلك العام[٧١].

وفي عام ١٩٤٤ أقيمت مدرسة للبنات في المنامة لأبناء البحرين وغيرهم، فقد كان قلة من العرب الأثرياء خاصة تجار اللؤلؤ يرسلون أبناءهم الى مدارس الهند. وكانت تلك المدرسة تحت اشراف زوجة مفتش سوري وقد لقيت اقبالا واسعا، ومن بين هؤلاء التلاميذ الذين التحقوا بها عرب وشيعة بحارنة وهنود وفرس ويهود[٧٢].

التنظيمات الهندية:

وقد سعت الجاليات الهندية في الخليج الى تنظيم نفسها في تكوينات ذات طابع اجتماعي سياسي، كانت تختار لكل منها رئيسا يمثلها أمام السلطات السياسية، محلية كانت أو بريطانية.

وكان يمثل الجالية في مسقط في الشؤون السياسية رجل يدعى موكهي Mukhi أو نجارسيث Nagar Seth، وفي أواخر القرن التاسع عشر كان أحد أبناء أسرة بهيماني يشغل هذا المنصب.

وفي الثلاثينات كان رانجور داس لالجي Ranchordas Lalji رئيس الجمعية الهندية «المعروفة باسم مهاجان Mahajan وفي خلال القرن العشرين كانت المهاجان تدير أغلب المؤسسات التي تخص الهندوس مثل المدارس والمعابد وقطعان الأبقار وغيرها من الممتلكات التي تحصل عليها الجمعية من خلال الاهداء، أو من التجار الذين ماتوا دون أن يخلفوا وريثا[٧٣].

وفي سبتمبر عام ١٩٤١ حضر المقيم السياسي بالاشتراك مع مسز .Mrs Howes حفلا أقامته جمعية Mahajan بمناسبة الاحتفال بيوم Vijaydashmi

«يوم خروج الرب» وكانت القاعة مزينة بعلامة "V" لـ "Vijaya" [٧٤].

وفي دبي أقام التجار الهندوس الجمعية الهندية عام ١٩٤١[٧٥]. كما كان للجالية نواديها الخاصة فبالاضافة الى نادي جمخانة كان يوجد نادي البحرين الرياضي Bahrain Sport Club وقد تم انشاء هذا النادي منذ عام ١٩١٥ ويهدف الى توفير أسباب الرفاهية الاجتماعية والرياضية[٧٦]. ومنذ عام ١٩٣٣ كانت ترسل بصورة منتظمة قائمة بأسماء الأعضاء، مصنفة الى ٣ مجموعات :

أولهما : الأعضاء المسؤلون عن رعاية النادي.

ثانيهما : أعضاء شرفيون.

ثالثهما : أعضاء عاديون.

وقد ضمت قائمة عام ١٩٣٣ الأعضاء الثلاثة الذين كانوا يرعون النادي باك اسكر S. Pack Esqr وفيكتور روزنتال اسكر وحاجي محمد على زينل. والعضوين الشرفيين الوكيل السياسي وبلجريف. وبلغ عدد أعضائه العاديين خمسة وثلاثون عضوا أغلبهم من الهنود البانيان من بينهم سكرتير المستشار ومدير الجمارك والأطباء.

وتضاعف عدد الأعضاء العاديين عام ١٩٣٦، فوصلوا الى ٦٩ عضوا، كما كان يزداد معهم في نفس الوقت أعداد الهنود، خصوصا إذا ما عرفنا أنه لم يكن مسموحا لأبناء البلاد من البحرينيين الحصول على عضوية النادي.

ووصل عدد الأعضاء عام ١٩٤٥ الى ٢٢٠ عضوا تضم، كما كتب المستر كوهن Cohn سكرتير النادي العام، للوكيل السياسي في البحرين «الهنود وغيرهم من الجنسيات» وهي نفس العبارة التي استخدمها في العام التالي وهو يبلغ الوكيل السياسي أن عدد الأعضاء زاد الى ٢٥٠ أو كما جاءت بالنص "At Present has a membership of 250 on its roll which includes Indians and other na-

tionals." وتخصيص الهنود معناه أنهم كانوا يشكلون الغالبية العظمى في عضوية النادي[٧٧].

زواج الهندوس :

من أوضح ما اتصفت به الجاليات الهندية في الخليج أنها مجموعة كبيرة من مختلف العادات واللغات والمذاهب الدينية. وهناك تقاليد غريبة تتمسك بها بعض الطوائف معتقدة أنها من مقومات الشخصية الهندية التي يجب أن تحافظ عليها خاصة في المجتمعات الغريبة، وتتجلى هذه التقاليد في حفلات الزواج.

فحينما كانت توجه الدعوة فقد كان لهذه الدعوة قيمتها، ذلك أن مدعوي العريس كانوا يتمتعون بامتياز خاص، فلهم خير مكان في منزل العروس، ويرتدي والد العريس عمامة بلون خاص تميزه على أنه والده، ويخصص صبي لأستقبال الضيوف بأطباق من السكر والحبهان، وتقدم العصائر والحلوى، وهم لا يتأنقون في المأكل بل ان معيشتهم في غاية البساطة ويكتفون من الطعام بالقدر اليسير وما لدى الغني من الطعام لا يختلف كثيرا عما لدى الفقير فيتألف طعام كليهما من الخضر والزيت والتوابل[٧٨]. ومن التقاليد التي كانت متبعة لدى أبناء الجاليات الهندية في الخليج أن يقدم الرجل «ساري»[*] بلون أخضر لعروسه. ويقدم خالها ساري باللون الأبيض والأحمر كانت ترتديه العروس يوم زفافها والأبيض دلالة على طهارتها أما الأحمر فاللون المقدس. ويلبس العريس ملابس بيضاء، وليس للبانيان إلا مئزر يشدونه في وسطهم وفي أيام البرد يلتحفون بقطعة من نسيج رقيق[٧٩]. ويضع على كتفه شالا بلون أحمر كان يستحضره خصيصا من أحد المعابد في الهند، ويتزين البانيان بأقراط في آذانهم، ثم يوضع في يد العريس قطع من جوز الهند والزعفران وزهور وسكر وحلوى وعملة من الروبيات الفضية، وتوضع أمامه فاكهة. ولقداسة الزعفران عند الهنود ضم ذلك اللون لعلم الهند.

ويقوم رجل الدين الذي يتولى مراسم الزواج بطبع نقط حمراء على عمامة العريس، ويضع في نهايتي ثوبي العروسين عملة فضية وقطعة من جوز الطيب وتربط بخيط أحمر. ويتلو الكاهن التعاويذ[٨٠].

ويصاحب الزواج الرقص الهندي الذي يرجع في أصله الى الهندوسية، وهو من وضع الكهنة ورجال الدين. ويمثل قصص الآلهة والناس. كما تقوم الحركات والاشارات مقام التعابير اللفظية في لغة التخاطب[٨١].

والمرأة الهندية المتزوجة تهتم بمظهرها خارج منزلها، فتضع اللون الأحمر في مفرق شعرها دليل أنها متزوجة، وتضع علاقة الكونكو Kuncu القرص الأحمر بين حاجبيها[٨٢]. دليل أنها غير متزوجة، أما الأرملة فلا تستخدم أي علامة ملونة. ويصور لنا العلامة المطران اثنا سيوس نوري، رئيس أساقفة بغداد للسريان الكاثوليك، مظهر البانيان الاجتماعي عند مروره بالبحرين في رحلته الى بلاد الهند عام ١٨٩٩ فيقول «فما كادت ترسو الباخرة في جزيرة البحرين حتى وفد اليها جماعة من التجار الهنود الوثيين المعروفين بالبانيان، ومع كل واحد منهم رزمة من اللؤلؤ الذي ابتاعوه من الجزيرة، فسلم كل منهم الرزم الى ربان الباخرة وأخذ به وصولا. وكانوا نحو عشرين رجلا وهم يعملون جباههم بعلامة فارقة تميزهم عن بقية الهنود فيلتطخون بالزرقون، فمنهم من يجعل اللطخة بشكل نجم، وغيرهم يجعلها كنصف دائرة، وأكثرهم يجعلونها ثلاثة خطوط. وهم شديدوا القذارة والنتن حتى تقززت أنفسنا من رؤيتهم. حتى أمست الباخرة ذات رائحة كريهة مدة اقامتهم. وهم مع ذلك أغنياء تقدر ثروة بعضهم بمبلغ ٧٠٠ الى ٨٠٠ ألف فونك، وقد أخذوا كلهم غرفا في الدرجة الأولى من الباخرة[٨٣].

وللماء خصوصية لدى البانيان، فيصور لنا المطران أنهم كانوا يحافظون جدا على الماء ويضعونه في جرار من نحاس يغلفونها بأكياس مربوطة، كما كانوا يحفرون الابار في المنطقة التي يعيشون فيها كي تكون خاصة لهم وحدهم. بل كانوا يسورون

البئر بجداران كان موقعه بعيدا عن سكنهم ويتمثل ذلك في البحرين في جنوب شرقي قلعة المنامة[٨٤].

بالاضافة للغرابة التي تتميز بها تلك الطقوس لدى الهندوس فإن الاحتفال بميلاد طفل له من أسباب الغرابة أكثر.

فالاحتفال كان يتم بعد اليوم السادس من ولادته ويسمى «جاتي» تغتسل كل من الأم والطفل في ذلك اليوم. ويوضع قلم بوص ودواة حبر وكتاب وسكين وحزمة زهور. ويرمز القلم والحبر والورق لربة الحظ التي يعتقد أنها تخط مصير الوليد[٨٥].

كما كانت توضع قطعة من الزيت صغيرة جدا، تضاء تلك القطعة، ويلف الطفل كاملا حتى وجهه ثم يقرب وجهه من تلك الشعلة الخافتة، ولا يعطى الطفل أسما إلا بعد ١٢ يوما. وتمتنع المرأة عن الخروج خمسة وثلاثون يوما، كانت تتوجه بعدها أولا الى المعبد ثم تقوم بزيارة احدى صديقاتها لتناول طعام الغداء أو العشاء[٨٦].

ومن عادة الهنود مضغ «البان» ويتكون من ورقة شجر بها أنواع من البهارات، ويبصقون اللبان بعد مضغه[٨٧]. ونتيجة لذلك كانت الأحياء التي يسكنها البانيان في الخليج والطرقات التي يمرون بها ملطخة باللون الأحمر من عملية البصق. بالاضافة لتلك العادات والتقاليد شارك البانيان الجاليات الأخرى في احتفالاتهم. فعندما قام اللورد كرزون بجولته المشهورة في الخليج في نهاية عام ١٩٠٣ لتفقد المؤسسات الهندية وزيارة مشايخ العرب قامت الجالية الهندية في مسقط في ١٨ من نوفمبر من ذلك العام بعد أن ترجل موكب اللورد كرزون والمقيم السياسي في شارع ضيق فرش بالسجاد، ووضعت الزينة عبر الحي الهندي الى بناية المعتمدية، وعرضت الألعاب النارية من الشرفات العالية لقلعتي جلالي وميراني[٨٨].

وعند السماع بخبر وفاة روزفلت (رئيس أمريكا) عام ١٩٤٥ اجتمع عدد كبير من الرعايا البريطانيين وأرسلوا آخرين للوكيل السياسي لتقديم تعازيهم.

كما قام الحاج بكير بن عبد اللطيف الشخصية الرئيسية بين تجار الخوجة بتغذية ٥٠٠ من الأشخاص الفقراء في اليوم الرابع عشر من الجنازة[٨٩].

وفي أغسطس من نفس السنة أقام ري بهادور جوكلداس كمجي حفلا ناجحا يوم ٢٠ من ذلك الشهر احتفالا باستسلام اليابان وانتهاء الحرب العالمية الثانية، كما أقامت الجالية الهندية الاحتفالات يوم ٢٣ أغسطس. كما تلقى الوكيل السياسي عددا كبيرا من رسائل التهنئة من جميع الجاليات التجارية الهندية صاحبة المصالح في مسقط[٩٠].

بعض مظاهر التأثير الهندي في المجتمع الخليجي :

كان من الطبيعي بعد هذا التواجد الهندي في الخليج مدة طويلة والاحتكاك اليومي بين الهنود والسكان أن تتأثر بعض مظاهر الحياة لسكان الخليج بهذا الوجود وأبرز هذه المظاهر تأثر لغة الحياة اليومية ودخول مفردات اللغات الهندية الى لهجة أهل الخليج.

كما تزخر اللغة العربية بعدد وافر من المفردات والمصطلحات الايرانية والانجليزية. ولا تخلو لغة التخاطب اليومي حتى بين العرب أنفسهم من الكلمات الأجنبية[٩١].

وتأثير اللغات الأجنبية، خاصة الهندية، في المناطق الساحلية والمدن الكبرى أكثر منه في الداخل، ويرجع ذلك للصلات التاريخية للطبقة التجارية الهندية بالمناطق التي سكنتها في الخليج وسيطرت على عصب الاقتصاد فيها، كما يعود للتجارة والسفر حيث كان عدد كبير من أبناء الخليج يقومون بزيارات منتظمة الى بومباي التي أسموها لندن الشرق، وكان من نتيجة الاحتكاك بالمجتمع الهندي أن عرف هؤلاء كلمات هندية استخدموها مكرهين لقضاء أمورهم وانجاز ما يتعلق

بمعاملاتهم التجارية، ومن ثم حملوها الى بلادهم لأنهم في أحيان كثيرة لم يجدوا لها كلمات مقابلة، أو استخدموها في لغة التعامل مع الجالية الهندية المقيمة في بلادهم. ولا شك أن ما عرفوه من مظاهر الحياة في بومباي، مما لم يكن له مقابل في الخليج، قد دفعهم الى استخدام الكلمات الدالة على تلك المظاهر مثل سبيتال بمعنى مستشفى، والترام بمعنى قطار، وفص كلاص بمعنى الدرجة الأولى، وريس Rees بمعنى سباق الخيل، الذي كان يقبل أهل الخليج عليه بشكل كبير فترات وجودهم في بومباي.

كما كان للتعايش اليومي المستمر بين الجالية الهندية والعاملين من أبناء الخليج في مكان واحد، والمتمثل في شركات البترول، أن نقلوا عنهم مصطلحات من لغتهم واللغات الأجنبية الأخرى.

ولما كانت لغة الهنود في بلادهم الأصلية قد تأثرت بمصطلحات أجنبية من اللغة الانجليزية، بحكم الاستعمار الانجليزي للهند، وبالفارسية، وهذه الأخيرة من المجموعات العرقية التي عرفت «بالبارسي» والتي هاجرت الى الهند عام ٧٨٥م فقد نقلها هؤلاء لأبناء الخليج والتي أصبحت لغة التعامل بين الأجناس الموجودة وبين أهل البلاد الأصليين، ومع مرور الزمن أصبحت لغة التعامل بين أهل البلاد أنفسهم. ومثال على ذلك كلمة «دريول» Driver سائق، وسيت Seat مقعد، وليت Light ضوء وليسن Licence رخصة السيارة، وحفيز Office مكتب. وكلمات فارسية مثل بشكار للخادم، ودروازة للبوابة واستكان لكوب الشاي الزجاجي والتي أصبحت جزءا من مفرداتهم اللغوية. بل أن اللغة الهندية قد أثرت على اللغة العربية عامة فكلمة البارجة (أي البواخر الحربية) والموز والصندل كلها كلمات هندية.

وقد سجل زويمر عام ١٨٨٩ ملاحظته عن انتشار الكلمات الهندية في اللغة العربية لأهل الخليج وعن أثر الهجرة في اللغة لمناطق في الخليج عن غيرها مثل البحرين حيث أصبحت الفارسية أكثر اللغات استخداما بعد العربية[٩٢].

ومع زيادة الاتصال الهندي بوجه من وجوه الحياة في الخليج.. كلما كان تأثيرهم في استخدام مفردات من لغتهم أكبر مثال على ذلك ما جرى بالنسبة لتجارة اللؤلؤ فيردد تجار اللؤؤ من العرب كلمات كثيرة أغلبها من أصل هندي مثل الدانة Danna اللؤلؤة الكبيرة الغالية جدا، وجيوان Jiiwan اللؤلؤة المستديرة البيضاء، والبوكا Buuka لؤلؤة صغيرة رخيصة[٩٣]. والسنقباسي : لون من ألوان اللولؤ وهو الذي يشتد فيه الأزرق ويميل الى الرمادي وهي لفظة هندية[٩٤] والتشاو أو الجو، وهي الوحدة المستعملة لتداول بيع اللؤلؤ وليس وزنا، وإنما يتبعون طريقة حساب تقريبي لتيسير حساب التشاو أو الجو من الوزن وبيان وزن اللؤلؤ «بالراتي»[٩٥]، وهي كلمة هندية أيضا استخدمها تجار اللؤلؤ في لغة التعامل. ومن وهي وحدة وزن البضائع.(*)

نفس الظاهرة عرفتها المعاملات التجارية بحكم ما كان للهنود من مكانة في الميدان التجاري.(**) فقد استخدمت كلمة روبية وآنة وآنتين وهي العملة الهندية المستخدمة في الهند والخليج، «وبيزات» وهي العملة النحاسية الصغيرة، «ولك» وهي المئة ألف، «وكرور» وتعني ملايين.

ويبدو التأثير الهندي في استخدام كلمات في فنون الملاحة نتيجة لدخول بعض هذه الفنون نقلا عن الهند أو على أيدي هنود ففي الملاحة استخدم البحارة كلمة «بلم» وتعني القارب الصغير[٩٦]، وهوري : وهو من أشهر المراكب الصغيرة[٩٧]. وكوتيه : نوع من السفن الخشبية البحرية[٩٨]، وبروانه : وهي مروحة المركب[٩٩]. كما تستخدم كلمة كولي : وهو العامل أو الحمال[١٠٠]. وكذلك نوكر وتعني العامل بالمنزل والتنديل : الشخص المسؤول عن العمال[١٠١].

كما انتشرت بعض الكلمات الهندية داخل المنازل العربية في الخليج مثل «بنكة» وهي مروحة الهواء، «وتاوة» وهي آنية عمل الخبز، و «موري» وتعني حوض غسيل اليد، و«بتات» مفاصل الباب، و «بالدي» وهو السطل، و «بوجلي» مصباح اليد

بالبطارية[١٠٢]. وبتة وتعني ورقة اللعب وهي مشتقة من الكلمة الهندية «بته» أي رزمة ورق، وجوبت وتعني زهرة الملابس، وأوتي واستري وهي المكواه[١٠٣]. وكمجة : ملعقة من الهندية جمجة، ودابي : علبة الصفيح الصغيرة، وسامان وتعني أثاث[١٠٤]. وتجوري وهي تعني الصندوق الخشبي الحديدي، وكجره : ومعناها القمامة.

وقد تأثر الخليجيون الذين عاشوا بالهند بالأدوات الهندية الخاصة بالزينة والفنون في عمليات الحفر على الخشب، فقد زينوا منازلهم بالرمامين (جمع رمانة) وهي فقاعات من الزجاج الرقيق مختلفة الألوان والأحجام واللماعيات المذهبية وهي القوارير الملونة المنقوشة والمزخرفة، وكانت تجلب من الهند كما زينوا جدران منازلهم بالمرايا «مناظر»(*) ذات أشكال هندسية مربعة ومثلثة ودائرية، وكانت تجلب كلها من الهند[١٠٥]. كما أن سرير العروس ذا الأربعة الأعمدة والدواليب والصناديق وأشهرها السورتي كان يجلب من الهند كما كانوا يحضرون النجفات من الهند ويعلقونها كزينة في سقوف الغرف لعدم وجود الكهرباء، بل أحضروا البوابات الخشبية الضخمة المزينة بالأفيال وأشهرها بوابة ابراهيم محمد المدفع في الشارقة.

كما جلبوا الأعمدة الخشبية العالية المزخرفة لتقام في بهو المنازل، من أشهرها أعمدة لبيت عيسى محمد عبيد النابودة، تاجر اللؤلؤ المشهور من أهالي الشارقة والذي أقام الأعمدة الهندية في مسجد السوق بمنطقة المريجة.

وبالاضافة لذلك انتشر الطابع الهندي في المأكل والملبس[١٠٦]. حيث تأثر نوع الطعام الخليجي باللون الهندي باستخدام التوابل بكثرة، فالبرياني والصالونة وهما مصطلحان هنديان وتعني الأولى الأرز باللحم والزعفران، والثانية طبيخ الخضار باللحم. «والدال» تعني العدس، والماش : نوع أخضر من الحبوب يشبه العدس وبيذام وكازو وهما من المكسرات[١٠٧]. وأجار وتعني المخلل، وآلو هو نبات البطاطس

والبوبر : القرع العسلي، والساقو : نوع من الحبوب البيضاء تستخدم لعمل الحلوى. وسوق الخضرة أو الفاكهة المسقوف بالصفيح يسمى «جبرة»، والفواكه تسمى ميوه. والمانجو يسمى همبا، وجيكو : فاكهة هندية، والعنب عنكور، وجوز الهند نارجيل، ومن الفواكه الحمضية : لومي وهو الليمون الحامض، والموسمبي هو البرتقال، والسنطرة : الثمرة المعروفة باليوسفي.

كما تأثر الخليجيون بلغة الملابس وفن التطريز في الملبس الهندي. فالدكمة زرار، والزنجفره : الفانيلة وهي من الهندية جنجفره، ورمال تعني المنديل، والململ هو الفوال الهندي، والدكله : الجاكيت الهندي وقد ارتداه الهندي حتى الركبة بينما ارتداه رجل الخليج حتى القدمين. واللاس : قماش الحرير الرقيق. والبريسم : الحرير والفترة : كلمة هندية الأصل وهي غطاء الرأس الأبيض للرجال في منطقة الخليج[١٠٨]. بينما أختلف العمانيون فقط عن أهل الخليج بلبس العمامة الملونة من صوف كشمير.

ومن الأشياء المستخدمة أيضا الصندل صابات، والوزار لباس للرجال يلف على الخصر ويلبس تحت الجلباب بألوان متعددة، وهي لغة هندية جلبت الى الخليج وأصل الكلمة ليس هندي. وجوتي : تعني الحذاء والجبلي : نوع من النعل. والكشمة وهي النظارة ونمونه صنف الشيء ونوعه. كما يطلق على المكوجي وغاسل الملابس دوبي.

كما كان الزي الرسمي لتلاميذ مدارس الكويت منذ عام ١٩٤٧ القميص والبنطلون الكاكي القصير على نمط زي التلاميذ الهنود فقد أوصى مجلس المعارف الكويت في ذلك العام على خمسة آلاف بدلة كاملة من الهند[١٠٩]. وكان الطلبة قبل ذلك يرتدون الجلباب والكوفيه. وكان لباس الرأس للشرطي البحريني العمامة الهندية المخروطية ذات الجديلة الحمراء وبدلة على غرار بدلة العسكري الهندي[١١٠].

وقد واكب ازدهار صناعة اللؤلؤ ازدهارا متوازيا في حياة كبار أثرياء اللؤلؤ مما ساعدهم على جلب مختلف الألبسة الوطنية المرصعة بالذهب والقصب، والتي كانت تصنع خصيصا لهؤلاء الأثرياء في مدينة بومباي وكان هناك تنافس في اختيار الحرير الهندي بأشكاله وأنواعه وألوانه ليطرز بوحدات زخرفية بالخيوط الذهبية لتلبسها نساء الخليج. كما كانت تلك الملابس المزخرفة أيضا هدية البحارة لعائلاتهم ولكن بأثمان رخيصة.

كما تأثرت الحلي الخليجية بفن الصناعة الهندية فكانت توجد في أسواق مطرح ومسقط بعض الحلي الفضية، ومن الواضح أن هذه الحلي قد انتقلت الى عمان عبر الخليج من الهند رغم أن بعض هذه النوعيات قد تكون من أصل الانتاج العماني.

ويرتدي كثير من الأطفال في المنطقة الداخلية من عمان نوعا مفلطحا من الخلاخيل، والبعض يسمى هذه الخلاخل «حواجيل» ولها سلسلة تتدلى منها وربما يوجد في هذا النوع من الحلي مؤثرات من تصميمات الحلي الهندية[١١١]. كما أن كثرة وجود الخرز في تلك الحلي حيث تشبه في تصميمها حلي الهند في القرن التاسع عشر، كما أن بعض الحلي في الهند عليها نقوش لثلاث بقرات على الخواتم الفضية في ظفار والأساور والخلاخيل التي تتدلى منها أجراس تشبه الحلي الرائجة في الهند خلال القرن الماضي[١١٢].

ومن الأساور والحلي النسائية «البنجري» وهي لفظة دخلت الى منطقة الخليج من اللغة الأوردية التي يتحدث بها معظم مسلمي الهند.

والموسيقى الخليجية بصفة عامة متأثرة بألحان هندية وفدت مع الآلات الهندية نتيجة للاحتكاك الاجتماعي بين المجتمع العربي والمجتمع الهندي، ومن أشهر الذين اهتموا بدراسة الموسيقى الهندية وامتزجت ألحانه بألحان هندية الشاعر الكويتي وعازف العود عبد الله الفرج والذي توفى عام ١٩٠٢، تعلم الموسيقى في الهند،

وأخذ بعض الألحان الهندية وأدخلها على الأصوات ومنها صوت (في هوى بدري وزيني) هندستاني فيه جمل هندية[١١٣].

كما تتميز الموسيقى الخليجية بآلات الايقاع مثل الدف «الطار» والطبل، كما يستخدم «الزير»، ويلبس ضاربه خاتما معدنيا ثقيلا للضرب على جوانبه، وأحيانا فوهته، وتركيب الطبل والطار واستعمال الزير قد أخذا عن الفنون الهندية[١١٤].

والمرواس : وهو طبل صغير ذو وجهتين على هيئة اسطوانة يغلف جانبها بجلد الحيوانات وتوثق بالحبال، ويذكر الرواه أن المرواس أيضا كان يستورد من الهند[١١٥].

وبجانب آلات الايقاع يوجد الصرناي وهو من آلات النفخ الخشبية[١١٦]. والطويسات وهي طاسات صغيرة من النحاس الأصفر، وكلاهما كان يستورد من الهند.

والمويلي الذي كان يؤدى بمصاحبة لحن «السنجني» قال عنه الرواه أنه لحن هندي الأصل لأن البحارة قد سمعوه يؤدى على شكل «ترانيم» في المعابد الهندية[١١٧]. ومع الألحان والغناء كان البحارة يستعيرون كلمات هندية ذات معنى معروف، ويضيفونها لكلمات عربية توضح مناسبة استعمالها وذلك مثل استخدامهم كلمة «كيجور» التي تعني التمر باللغة الهندية، وقد استعارها النهامة❖. وضمنوها مواويلهم وتغنوا بها ساعة انزال التمور الى المواني الهندية فكانوا ينشدون «يالكيجوري طيح لنا الانجر» والانجر هو المرساه وهم يقولون في أغنيتهم أن الغرض من ارسال المرساه هو توقف السفينة في الميناء لتفريغ حمولتهم من التمور. والراجح أنهم قد سمعوا الكلمة من الحمالين الهنود فاقتبسوها وضمنوها غنائهم[١١٨].

كما لازمت الألفاظ الهندية أحاسيس الشاعر المرهفة فأدخلها في أبياته الشعرية فيقول أحدهم :

دار قلبي دورة البنكة خشم ريم لي يزاغيبه[١١٩]

كما أثر الوجود الهندي في أمثال وحكم أبناء الخليج وتتعدد أمثلة ذلك، فمثلا نتيجة لاحساس الناس بالنفور من الديانة الهندوسية وعدم تقبلها في مجتمع اسلامي خالص ورد اسمهم في باب الشتيمة، وأصبحوا مضرب الأمثال في الوجوه السيئة فيقال مثلا «ألعن أبوك بانياني لا تصلي ولا تصوم»[١٢٠] ويقال «جرب هندي لا يبرا ولا يعدي»[١٢١] ويضرب المثل تعريضا من يتطفل على رفاقه في الوقت الذي لا يحبون صحبته، كما يطلق على وجه التنديد والمقت. ويصف أهل الخليج الرجل الصامت الذي لا يتكلم بقولهم «فلان جالس جنه بكوان»[١٢٢]. ويضرب المثل في عدم الاحتياج للآخرين بالترفع، فيقال «بمبي كري نحن نبيع ما نشتري[١٢٣].

كما يضرب المثل بالمناسبة السعيدة والابتهاج بها بقولهم «اليوم عيد الهولي».

كما وردت الكلمات الهندية في ألعاب الأولاد التي صاحبت عصرهم فكلمة «جور» تعني لص، وهي لفظة شائعة في لعبة «الجيس»، حيث يخطف أحد اللاعبين بعض النقود من المجموعة المشتركة في اللعبة وان أبصروه من بعيد قالوا «جورك» أي اللص قادم عندها لا يستطيع سرقة النقود[١٢٤]. وكوك : كلمة هندية، ،هذ نداء الأطفال في لعبة الاستغماية بمعنى أظهر وتعال. والبيزة : العملة الهندية النحاسية، وتوضع نفس الكلمة لدى ضرب المثل على تفاهة الانسان وعدم قيمته فيقال «فلان ما يسوى بيزة برغش» وبرغش أحد الحكام العمانيين الذي ضرب صورته على العملة حين كان لها غطاء ذهبي ولما تدهورت قيمتها صار يضرب بها المثل.

أضف الى ذلك لغة التعامل اليومي في مختلف المجالات مثل بند الدكان، ومعناها أغلق الدكان، وجب : أي لا تتكلم وشاباش : أي حسن وجيد، وسير سيدة: أي في اتجاه واحد، وبخشيش اكرامية، ومتروس معناها ممتلىء، وجوكم أي مخالفة، وآسته وهى تعني بمهل وبالزام أي بالدور، ويطلق على الشارع رسته والرحلة كشته والبطاقة جتي، والكاري تعني الدراجة، ويسمى الثلج بفر، والسلسلة

صنكل، وطماشه : بمعنى تجمع المتفرجين في الفرح، والجنكلي بمعنى المحتال، ومتوه بمعنى الببغاء، ويطلق على الأمطار المصحوبة بالرعود برصات[١٢٥].

ونسبت مواقع أماكن بتواجد الهنود فيها فيسمى المدخل الشمالي بين جزيرة مسندم وغبة❖ شابوص في عمان «رأس قبر هندي» وذلك لأن هنديا قد مات على ظهر سفينة ودفنه رفاقه في هذا المكان[١٢٦].

كما أطلق على «الايل» العربي في عمان أسم «جايكاري» تكريما للجراح الهندي اللفتنانت كولونيل أ. س. جايكار[❖❖][١٢٧]، نتيجة للبحوث التي قام بها عن أيائل تلك المنطقة.

ونلاحظ في نهاية المطاف أنه رغم كون الجالية الهندية شكلت منذ زمن طويل جسرا بين العالم الخارجي بحضارته الوافدة وبين المجتمع التقليدي إلا أنها لم تشأ أن تغير عاداتها وتقاليدها الاجتماعية، فظلت الجالية الهندية في الخليج محتفظة بعاداتها وتقاليدها وكأنها تعيش في الهند، وإذا كانوا قد تركوا بعض التأثير تلقائيا فإن عزلتهم وخاصة الهندوس جعلتهم رغم قلتهم العددية لا يتأثرون إلا قليلا بالمجتمع الذي وفدوا اليه، وعلى العكس فإن العرب الذين زاروا الهند أو عاشوا فيها فترة، حاول بعضهم اقتباس الفنون أو المصطلحات التجارية التي أشرنا لها في هذا الفصل.

❖ ❖ ❖

هوامش الفصل الرابع

(١) لاندن : المرجع السابق ص ٣٨.

(٢) أنظر الصورة المقابلة.

(٣) لوريمر : مرجع سابق القسم الجغرافي - الجزء الثاني ص ١٤٩١.

(٤) فريد شولتس : سلطنة عمان - مقدمة جغرافية الجزء الأول ص ١١٧.

(٥) Calvin Allen,Op.Cit. P.48.

(٦) فريد شولتس : مرجع سابق ص ١٢٠.

(٧) لوريمر : مرجع سابق القسم التاريخي - الجزء الثاني ص ٧٨٦.

(٨) روبين بيدويل : مرجع سابق ص ٤٨.

(٩) Administration Report of the Persian Gulf. Political Agency for the year 1876-1877.
Medical Topography of Muscat by Surgeon A.S.G. Jayakar.

(١٠) معاينة الباحثة.

(١١) مقابلة مع السيد كوشال باتيا بتاريخ ١٩٨٣/٢/٩.

(١٢) مقابلة مع السيد بكوان داس بتاريخ ١٩٨٣/٢/١٥.

(١٣) مقابلة مع السيد عيسى محمد المدفع بتاريخ ١٩٨٣/١٢/٩.

(١٤) برترام توماس : مخاطر الاستكشاف في الجزيرة العربية ص ٤٣.

(١٥) أنظر الفصل الثاني والثالث.

(١٦) I.O.R R/15/6/360 Summary No. 20 16-31st October 1946.

(١٧) رسالة رقم ٩/٤٩ من نائب رئيس المجلس البلدي الى قنصل الدولة البريطانية I.O.R R/15/6/338